"مبادرة حماية التراث" التابعة لمنظمة اليوم التالي

مشروع المراقبين

تقرير عن قلعة معرة النعمان

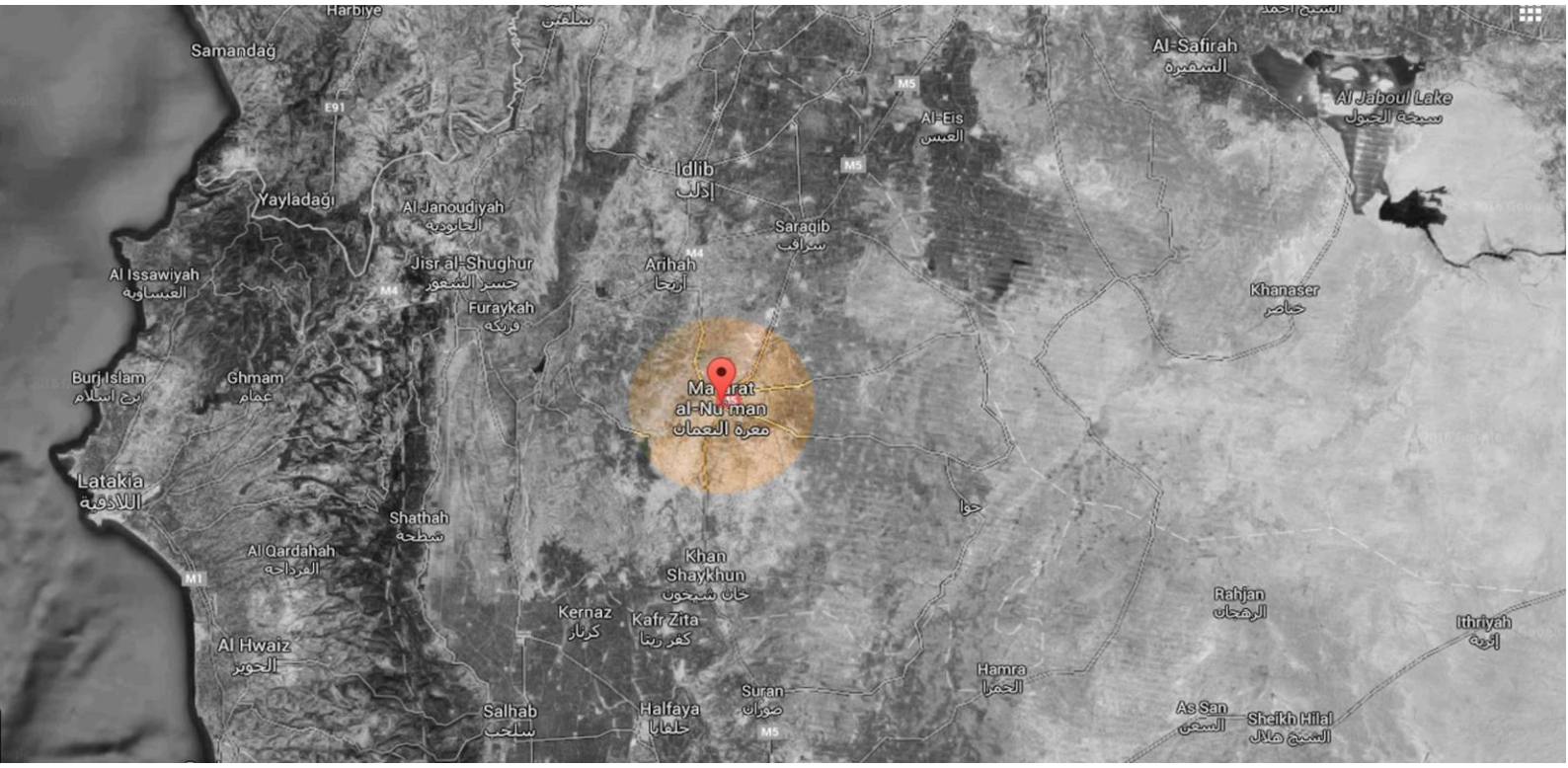

تقع قلعة المعرة السورية إلى الشمال الغربي من مدينة معرة النعمان وقد شيدت هذه القلعة على قاعدة كلسية طبيعية مرتفعة عما حولها ويحيط بها خندق عظيم نقر حفراً بالصخر بعرض 13 متراً وعمق 10 أمتار، وكانت أرضه مفروشة بالبلاط، إلا أن عوامل الزمن أثرت فيه كثيراً وأصبح الخندق مزروعاً بأشجار التين والرمان.

الأهمية والفترة التاريخية:

تمتد القلعة على مساحة 2500 متر مربع ويلتف حولها من الجنوب والغرب والشمال مجرى نهر الهرماس الموسمي. وكان في السابق يتم الدخول إلى القلعة عن طريق مدخل جنوبي رئيسي بواسطة جسر خشبي متحرك يستند على دعامة حجرية تركت في منتصف الخندق، وقد تم اهمال هذا المدخل واستعيض عنه بمدخل ثانوي من الشرق والجنوب عبر ردم الخندق المحيط بالقلعة.

يعود تاريخ بناء القلعة إلى ما قبل العهد الروماني وكانت حصناً منيعاً على مر العصور لمدينة المعرة. وقد رممت في العهد الأيوبي بعد تعرضها للدمار من الخوارزمية والغزاة الصليبيين وقد وثق هذا الترميم بسطر كتابي نافر وبخط نسخي أيوبي كبير بطول 145هـ 30 سم وتم ذلك سنة 1234 ميلادية، كما ويلاحظ وجود أعمدة الروابط الاسطوانية الكلسية بين جدران الأبراج الدفاعية وقد زخرفت وجوهها بزخرفة هندسية قوامها نجوم وأشكال أخرى.

الأحداث التاريخية التي مرت على القلعة:

عرفت هذه القلعة من خلال المجزرة التاريخية التي ارتكبها الصليبيون سنة 1098 ميلادية حيث حاصروا سكان المعرة الذين اعتصموا فيها خوفاً من جيش الفرنجة الطامع بالاستيلاء على ممتلكاتهم والذي يضم الفرسان والعدد الأكبر من الفقراء وعامة الشعب في أوروبا، فضلاً عن الرعاع وأفراد العصابات المتعطشة للسفك والنهب، وقد حاول هؤلاء جميعهم احتلال القلعة لكنهم فشلوا مرات عدة فقاموا بنصب برج خشبي أمام سور القلعة واحتدم القتال يرافقه إلقاء

النيران فوق المعتصمين حتى أحدث النقابون الفرنجة تحت البرج الخشبي ثغرة بجدار سور القلعة ما شكل خوفاً وذعراً في نفوس المدافعين. وفي عصر ذلك اليوم طلب قائد الحملة «بوهيموند» خروجهم إلى قصر قرب القلعة وسيضمن لهم حياتهم مقابل دفع جزية، فانصاع المدافعون لهذا الأمر وذهب بعضهم إلى المكان المذكور وبعضهم الآخر اتجه إلى مغاور وسراديب القلعة وأوقف القتال. وهنا دخل الفرنجة إلى القلعة فنهبوا كل ما وقع بين أيديهم وقتلوا كل من وقف في طريقهم واعتقل الكثير منهم وسيقوا إلى انطاكية لبيعهم عبيداً هناك.

القلعة ووضعها الراهن:

مع التطور العمراني في المدينة أصبحت هذه القلعة جزءاً من هذه المدينة وهذا الزحف الذي وصل إليها منذ خمسين عاماً أوصلها الى حالة لا تليق بمكانتها التاريخية.

حيث يقطن القلعة حالياً عدد من المواطنين الذين قاموا بتشييد أبنية سكنية ضمن القلعة ورغم اخلاء القسم الكبير من الحي الشرقي إلا أن هناك عدد ضئيل من الأسر مازالت تقطن القلعة ويلاحظ أن معظم بيوت القلعة المهجورة والمسكونة قد حولها مالكوها الى حظائر للأغنام وزرائب للماشية، الأمر الذي غير معالمها الحضارية والتاريخية فضلاً عن انتشار الأوبئة والامراض والجراثيم وغيرها.

ولم يكتف سكان القلعة بذلك بل راحوا وخلال السنوات الطويلة الماضية يعملون على تخريبها تخريباً من حيث اقتلاع بلاط الخندق وتغيير معالمها بالإضافة إلى تنفيذ الصرف الصحي بشكل عشوائي حيث راحت المياه المالحة والملوثة الناجمة عنه تتغلغل تحت جدران القلعة حتى أن خندق القلعة صار مقلباً لروث الحيوانات وفضلاتها فضلا عن تحويل الخندق الذي يحيط بها الى مكب للنفايات.

وإن سوء التوظيف لهذا المعلم الحضاري أدى إلى تفشي الإهمال والعبث في بناء القلعة بشكل راح يهدد وجودها كمعلم تاريخي هام وهذا الأمر أدى الى سيل انتقادات من الجهات المحلية ومن السياح العرب والاجانب.

وقد تعرضت هذه القلعة للقصف الممنهج والمتعمد من قبل النظام السوري عن طريق المدفعية وسلاح الجو ادى إلى زيادة الأضرار والتدمير .... بالإضافة الى التنقيب والتكسير المتعمد من قبل منقبون غير شرعيين.

العمل والرفع والتوثيق:

قمنا نحن مركز حماية التراث الثقافي السوري بمتابعة وتوثيق هذا الصرح الحضاري العريق بشكل دوري وبدون انقطاع ومتابعة أعمال التخريب والعمل قدر الإمكان على الحد من عمليات التكسير والتنقيب وقد تم أيضا التواصل مع الفعاليات المحلية بهدف التعريف بأهمية هذه القلعة ومدى أهميتها السياحية والاقتصادية .....

يتبع هذا التقرير ملف كامل من الصور يحوي على توثيق كل القلعة مع الخندق المحيط بها.

أعداد التقرير:

م. عبد الرحمن اليحيى (مركز التراث السوري)

محمد البطال – فراس اليحيى

آ. خالد حياتله

منسق مشروع المراقبين

د. عمرو العظم